التّفكير الصوتي عند العرب في ضوء (سرّ صناعة الإعراب) لابن جني للدكتور هنري فليش (دراسة نقدية)

م.د عادل ماضي صبر
المديرية العامة لتربية بغداد الرصافة/3
adelmadi1976@gmail.com
07717393368

مستخلص البحث:
هذا البحث يعدّ من البحوث القيّمة للدكتور هنري فليش والذي ترجمه الدكتور عبد الصبور شاهين ونشره في مجلة مجمع اللغة العربية في القاهرة عام 1968م،عرض الدكتور هنري فليش بحثه هذا لأهم المؤلفات العربية عند القدماء بعلم الأصوات والذي كان في طيات مؤلفاتهم بدأً من سيبويه وصولا إلى ابن جنى في سرّ صناعة الإعراب ، وتطرق هنري فليش في هذا إلى مخالفة الدرس الصوتي الحديث في عملية وصف مخارج الأصوات وإحداث الحروف وآراء القدماء والمحدثين، وآراء القدماء من سيبويه في عملتي الجهر والهمس، والحركة عند القدماء والمحدثين، وفكرة الحركة عند ابن جني، والحركة ما بين التصور الغربي والعربي من حيث الطول والنوع، وإشباع الحركات، وإنتاج الصوت اللغوي، والحركة وترتيبها، وحروف العلة والمقطع الصوتي ،وانقطاع المصوتات، وموضوعات أخرى في طيات بحثه هذا، وسنقف في قراءتنا النقدية للبحث على مطلبين الأول :المقطع الصوتي، والردّ على ما قاله هنري فليش وإنكاره معرفة العرب بالمقطع الصوتي ، أمّا المطلب الثاني انقطاع المصوتات، فكان في الرد على رأي فليش القائل بأنّ هذه الأحرف الثلاثة ، وهي متحركة فتختلف عن ذلك ، فمخرج الألف يتغير تماما ، ليصبح مخرج حرف آخر هو الهمزة ، ختم بعدها البحث بأهم النتائج التي توصل إليها البحث، وقائمة بمصادر ومراجع البحث.

الكلمات المفتاحية: التفكير الصوتي، سرّ صناعة الإعراب، هنري فلش، انقطاع المصوتات، المقطع الصوتي، المصوتات، حروف العلة.

المقدمة :
الحمد لله ربّ العالمين ، والصلاة والسلام على رسوله الكريم وعلى آله وصحبه المنتجبين، أمّا بعد:
فيتطرق هذا البحث في دراسته النقدية للرد على آراء الدكتور هنري فليش في بحثه التفكير الصوتي عند العرب و الذي ذكر فيه مخالفة الدرس الصوتي الحديث في عملية وصف مخارج الأصوات وإحداث الحروف وآراء القدماء والمحدثين، والحركة ما بين التصور الغربي والعربي من حيث الطول والنوع، وعملية إنتاج الصوت اللغوي، والمقطع الصوتي وحروف العلة الثلاثة (الألف والياء الواو)،وانقطاع المصوتات، فهنري فليش أنكر معرفة العرب بالمقطع الصوتي . أمّا انقطاع المصوتات، فكان رأي فليش بأنّ هذه الأحرف الثلاثة ، وهي متحركة فتختلف عن ذلك ، فمخرج الألف يتغير تماما ، ليصبح مخرج حرف آخر هو الهمزة ، أحدهما في حالة السكون هو الألف، والآخر في حالة الحركة هو الهمزة. أمّا الياء والواو فإنّ مخرجيهما يبقى كما هو، ساكنين أو متحركين. فالبحث سيناقش رأي فليش في المقطع الصوتي ويرد عليه وكذلك يرد على رأيه في انقطاع المصوتات.

المطـــلـــب الأول: المقطع الصوتي :

المقطع الصوتي من المصطلحات الصوتية الحديثة، ومن المعروف أنّ الكلمة تتألف من أصوات صامتة، وصائتة ، ويحدث في التقسيم الصوتي لتلك الأصوات اللغويّة بطريقة يجتمع فيها صامت أو أكثر مع مصوت قصير أو طويل وعند تسجيل الذبذبات الصوتية لجملة من الجمل على لوح حساس يظهر أثر هذه الذبذبات في شكل متموج ويتكوم من قمم ووديان وتحتل أصوات اللين في أغلب الأحيان تلك القمم (أنيس، الأصوات اللغوية، 1975، ص 161)،وأول ما نصادفه في الدراسة الصوتية الحديثة هو تباين الآراء في مفهوم المقطع الصوتي فكلّ عرّفه من وجهة اختصاصه.

فعرّفه (كانتينو)على أساس عضوي فقال: إنّ المقطع هو المدة التي تفصل بين عمليتين من عمليات غلق جهاز النطق أكان الإغلاق كاملا أوجزئيا فهذا يمثل المقطع الصوتي (كانتنيو،1966،ص 191)، **وعرّف (أحمد مختار عمر المقطع)على أساس صوتي** بكونه:" تتابع من الأصوات الكلامية له حدّ أعلى أو قمة إسماع بغض النظر عن العوامل الأخرى كالنبر والنغم الصوتي... تقع بين حدين أدنيين من الإسماع" (عمر، 1997، ص 284) ، **وعرّف الدكتور (رمضان عبد التواب) المقطع وظيفيا** بأنّه سلسلة من الأصوات تضم حركة واحدة ، ويمكن البدء بها والتوقف عندها، فعلا على سبيل المثال في العربية، لا يمكن البدء بحركة ،ولذلك يستهل كل مقطع فيها بصوت صامت (عبدالتواب، 1997، ص101)، **أمّا هنري فليش فيعرّفه بقوله:" المقطع** : مكان القطع كاملا أو غير كامل ؛لأنّ ذلك يتوافق مع ما نطلق عليه :(انفجاري واحتكاكي، أو شديد، أو رخو، بحسب المصطلح العربي)، وأنّ ابن جني ليدعونا إلى أن نفهمه على هذا النحو؛لأنّه لم يقل مقاطع تقطعه بل قال:مقاطع تثنيه (فليش، 1968،ص 64) ، ونجد هذا في تعريف ابن جنّي للصوت والذي عرفّه بأنّه عرض يصدر عن النفس مستطيلا متواصلا، حتى يظهر له في الحنجرة والفم والشفاه أجزاء تمنعه من الامتداد والاستطالة، فيسمى حينئذ المقطع مقطعاً عندما يصادف حرفا، وتتباين أصوات الحروف حسب تباين مقاطعها (ابن جني، 1993،ص 1/ 6)، يفسر (فليش) كلام (ابن جني): بأنّ المقطع في نظره يقوم بدور أساسي في انتاج الحروف" فاستمرار إصدار الصوت (مع النفس)مفهوم بدلالة هذا المقطع، وكلّ مقطع في هذا الصوت المتدفق ينتج حرفا صحيحا ،أمّا عدم المقطع فإنّه يدع انسياب الصوت مستمرا دون توقف، وذلك حيز حروف الاعتلال وحروف المدّ : الألف والياء والواو، وهي الحروف الساكنة" (فليش، 1968، صفحة 64) ، ويعلق فليش قائلا:" والوصف الذي قدمه ابن جني لطريقة إحداثها يوضح لنا أنّ فيها عنصرا مصوتا حقيقيا ، بيد أنّ فكرة المصوت (التي كانت يجب أن توضع في مقابل فكرة أخرى هو فكرة الصامت) لم تكن قد برزت ، فبقي الأمر في حدود التسمية العامة : حرف ، كما أنّ هذا الوصف يشير إلى وجود مصوت طويل، وهو الذي يقابل المصوت القصير" (1968،ص64) ، وهو ما ذهب إليه فليش في تعريف المقطع في كتابه العربية الفصحى أنّ المقطع في العربية الفصحى يبدأ " دائما بصامت واحد فحسب ، وينتهي أمّا بمصوت (فهو المقطع المفتوح)، وإمّا بصامت واحد أيضا (فهو المقطع المقفل)" (فليش، 1997، ص57) ، ووضح الدكتور حسام النعيمي أنّ المقطع الصوتي بأنّه:" وحدة صوتية تبدأ بصامت يتبعه صائت، وتنتهي قبل أول صامت يرد متبوعا بصائت، أو حيث تنتهي السلسلة المنطوقة قبل مجيء القيد" (النعيمي، 1980، ص 8) ، وهذا ما ذكره في هذا البحث بقوله:" والتركيب المقطعي في العربية قد أثّر هو أيضا تأثيرا عميقا على النحو العربي ،فالمقطع في العربية يبدأ بصامت واحد فقط ، وينتهي بصامت واحد فقط بصرف النظر عن حال الوقف ، أمّا في داخل الكلمة فإنّ مجموعة الصوامت هي دائما متفاصلة ، ومن ثم وجدنا أنّ العربية تستبعد أنّ تبدأ الكلمة بمجموعة من الصوامت ، كما أنّ المصوت لا يمكن مطلقا أنّ يكوّن

مقطعا بذاته" (فليش، 1968،ص 89) ، فالمقطع في العربية يبدأ بصوت صامت تتبعه حركة ولا يجتمع صامتان في أول المقطع وهو مانصّ عليه القدامى والمحدثون بعدم جواز ذلك، وهو ما كان علماء العربية يعبرون عنه بقولهم: " لا يبتدأ بساكن" (الاستراباذي، 1975،ص251/2) ، بمعنى لا يبتدأ بصوت صامت لا يتبعه حركة، و(هنري فليش) في هذا الأمر بيّن صفة المقطع في العربية. والغريب أنّ هنري فليش يقول:" إنّ العرب لم يتحدثوا عن المقطع ، بيد أنّنا نستطيع أن نرى أنّهم تصوروا العلاقات بين العناصر التي تكون المقطع ، لقد بحثوا حرف المدّ والحركة ، والحرف الصحيح، وهي عناصر ذات وجود بارز في لغتهم" (فليش، 1968،ص83) ، ثم يمضي في ذكر جهود العرب في هذا الميدان فيقول: " فمن الممكن أن نختم هذا المبحث بحقيقة ثابته هي أنّ التفكير الصوتي العربي لدى ابن جني والنحاة العرب يتحرك داخل النظام المقطعي للغة" (فليش، 1968، ص85) ، ويواصل فليش كلامه فيقول:" والغريب أنّ هؤلاء الذين كانوا يفكرون في الحروف والحركة، في هذا الإطار المقطعي، لم يمكنهم أن يستخرجوا فكرة المقطع ، الذي لم يكن له اسم في مجموعة مصطلحاتهم" (المصدر نفسه، 1993،ص 88) ، ونجد بعض الدراسين المحدثين من ذهب في إنكار جهود القدامى في هذا المجال كقول عبد السلام المسدي: إنّ" من الغريب أنّه أطّرد لدى الدارسين عموما أنّ العرب لم يعرفوا المقطع بمفهوم syllable، وهو حكم كاد يصبح مقررا لدى كل الناظرين في علم الأصوات كما عرفه العرب وبلوروه" (المسدي، 1986،ص 221)، ولكن المنقب في التراث اللغوي القديم يجد أنّ الفلاسفة المسلمين ومنهم البيروني، وابن رشد ، والفارابي، قد عرفوا المقطع بمفهومsyllable بتعريبهم إيّاه من اليونانية : السلابي، ونلاحظ مثل هذا الإنكار في خلو دراسات بعض المحدثين من أي إشارة لبذور أو أسس الدراسة المقطعية عند العرب القدامى (أنيس، 1975،ص 160)، (فليش، 1997، ص 57) (حسّان، 1994،ص 71) ، إلّا أنّ الذي بين أيدينا من المادة اللغوية عكس ما قاله هنري فليش: فقد سجلت لنا هذه المادة اللغويّة تعريفات العلماء العرب للمقطع ، ومنها تعريف الفارابي (339ه) فقد عرّف المقطع بقوله:" كلّ حرف غير مصوت (يقصد به الصوامت) أتبع بمصوت قصير به فإنّه يسمى المقطع القصير، والعرب يسمونه الحرف المتحرك من قبيل أنّهم يسمون المصوتات القصيرة حركات، وكلّ حرف لم يتبع بصوت أصلا، وهو يمكن أن يقرن له فإنّهم يسمونه الحرف الساكن، وكلّ حرف غير مصوت قرن به مصوت طويل ، فإنّا نسميه المقطع الطويل" (الفارابي، 1016، ص1075/2) ، كما أطلق ابن جني مصطلح المقاطع على القافية في الشعر وعلى آخر السجعة في النثر فقال:" ألا ترى أنّ العناية في الشّعر إنّما هي بالقوافي لأنها المقاطع وفي السجع كمثل ذلك نعم، وآخر السجعة والقافية أشرف عندهم من أولها والعناية بها أمس والحشد عليها أوفى وأهم" (جني، 1958،ص 1/ 85)، وإذا تجاوزنا معالجة الفارابي للمقطع ، ثم تطرقنا رأي غيره من الفلاسفة الذين جاؤوا بعده وجدناهم حازوا تركته مع بعض الإضافات الجديدة على يد هؤلاء الفلاسفة، فهذا (ابن سينا) يفصح عن معرفته المقطع بمعناه العلمي المعهود بالدرس الحديث عند تفصيله مستويات الحدث الكلامي التي عدّها سبعة مبتدئا إيّاها بالمقطع الذي قال فيه: أنّ المقطع الممدود والمقصور كما علمت، يؤالف من الحروف الصامتة، وهي التي لا تقبل المدّ البته مثل الطاء والباء ، والتي لها نصف صوت ،وهي التي تقبل المدّ مثل السين والراء، والمصوتات الممدودة التي يسميها مدّات، والمقصورة حركات(الغزالي،1972،ص1/ 56 ــ57)، فهذا النصّ يوضح لنا أنّ ابن سينا كان على علم ودراية بركني المقطع وهما الصوت الصامت والمصوت بفرعيه ، وأنّه ألمّ بالنوعين الرئيسيين من المقاطع العربية وهما الممدود، أي الطويل ، والمقصور ؛أي القصير، وأمّا ابن رشد(ت595ه) فيعرّف المقطع بأنّه" الذي يأتلف من حرفين مصوت وغير

مصوت، فإن كان المقطع مقصورا قيل في حدّه إنّه الذي يأتلف من حرفين مصوت وغير مصوت، فكان منحصرا في حدّه حدُّ الحرف المصوت وغير المصوت، وكذلك المقطع الممدود ينحصر في حدّه حدّ الحرف غير المصوت، والمصوت الممدود" (ابن رشد، 1938،ص 2 /891 – 892) ، ونجد أنّ الجاحظ (ت868 ه) استخدم مصطلح التقطيع أقرب الحدين للمقطع إذا قصد به تجزئة الكلام فقال:" الصوت هو آلة اللفظ والجوهر الذي يقوم به التقطيع، وبه يوجد التأليف ... ولا تكون الحروف كلاما إلّا بالتقطيع والتأليف" (الجاحظ، 1423هـ،ص 1 /79) ، ويمكن إدراج تعريفي المقطع عند كلّ من (الفارابي وابن رشد)ضمن الاتجاه الصوتي؛ لأنّهم عرفوا المقطع على أنّه حصيلة اقتران صامت بمصوت سواء أكان قصيرا أم طويلا(بو روبه،2005،ص 245)، فنجد ابن رشد وصف المقطع بدلالته العلمية كما يعرفها الدرس الصوتي الحديث فهو يجزأ المقطع بناء على الزمن المستغرق في نطقه إلى نطقه إلى مقطع ممدود ، وهو ما اقترن فيه صوت صامت بمصوت طويل ،وآخر مقصور، ويتكون من اجتماع صامت يتبعه مصوت قصير ونجد هذا عند حديثه عن مواطن النبر في العربية فيقول: إنّ " العرب يستعملون النبرات بالنغم عند المقاطع الممدودة ...أمّا المقاطع المقصورة فلا يستعملون فيها النبرات والنغم"(ابن رشد،1967،ص 286–287)، وفي نصّ آخر يتحدث (ابن رشد) عن مسألة هوية المقطع وعلاقته بأجزائه ، على أنّه كلّ لا يتجزأ من حيث هو وحدة كمية متناسقة ونجده يعقد في عقد مقابلة حسية بين المقطع ونظيره ليأخذ من اللحم الذي هو متكون من الأرض والماء والنار مثالا لذلك ، فيقارن بينه وبين المقطع أو السلابي من حيث "أنّ هذه إذا انحلت وفسدت ليس ينحل المقطع إلى مقاطع ، واللحم إلى لحوم كما تنحل الأشياء المجموعة إلى تلك التي اجتمعت منها ،أعني لا يحدث فيها عن الاجتماع شيء زائد... فالحروف هي التي نسبتها إلى السلابي نسبة النار والأرض إلى اللحم ... فالسلابي شيء آخر ، وليس هو الحروف ، أي الحرف المصوت ،والذي لا صوت له ، بل شيء آخر أيضا فإذا المقطع ليس هو الحروف التي تركب منها أعني المصوت وغير المصوت " (ابن رشد، 1938،ص2/ 1017) ، يدل هذا على تفصيل في المقطع يدعو إلى الإعجاب والفخر؛ لأنّ ابن رشد هذا العالم الفذ قد فصّل المقطع وأجزاءه ، نعم لا ننكر أنّه تأثر بالمصطلح اليوناني (السلابي)،ولكن نجده قرأه برؤيا عربية تنمّ عن أفق واسع ،وهنا سؤال يطرح نفسه، هل اطّلع الدكتور هنري فليش على هكذا جهود أم لا ليقول أنّ العرب لم يستخرجوا فكرة المقطع، إذًا ماذا يسمي هذه الجهود من العلماء العرب من علماء اللغة والعروض والفلاسفة ، لقد اتّضح مما تقدم أنّ الدرس الصوتي عند العرب قد عرف المقطع بمعناه الاصطلاحي في الدرس اللساني الحديث ابتداءً من القرن الثالث الهجري ونجد العلماء العرب اهتدوا إلى جلّ المقاطع الأساسية التي قام عليها النسيج المقطعي في اللغة العربية، فهذه الجهود تشهد على إدراك العرب للمقطع بحسب مفهوم علم الصوت المتطورة عن مفهوم الساكن والحركة في علم العروض ، ولقد استعمل النحاة المقطع استعمالا حينما عرضوا إلى تقطيع الشعر إلى تفعيلات، وهذا وضّحه تمام حسّان بقوله: "وقد بنى العروضيون من العرب مقاييسهم العروضية بناء على هذه النظرة على ما يبدو ؛حيث نظروا إلى المقاطع باعتبارها خفقات صدرية... ووصفوا النظام الإيقاعي العروضي باستخدام الاصطلاحين : حركة ، وسكون" (حسّان، 1990،ص171) ، إذن المقطع الصوتي بمفهومه العام ثمرة من ثمرات الدرس العروضي القديم ؛ الذي هو حاكم الساكن والتحرك على عكس ما ذهب إليه هنري فليش (ابن جني، 1993،ص1/ 62) .

المطلب الثاني: انقطاع المصوتات :

المصوتات في اللغة العربية: هي ما أطلق عليه نحاة العربية اسم الحركات (الكسرة ،الضمة ،الفتحة)وما سمّوه بحروف الإطالة(المد)، واللين كالألف المستعملة في كلمة عدا، و حرف الواو في مثل كلمة يدعو، و حرف اليـــاء في مثل كـلمة القاضي (السعران، 1997،ص161) ،و أهم ما يميزها عن الصوامت أنّ الهواء معها يمر في الحلق والفم حرا طليقا لا يعترضه عائق من شأنه تضييق مجرى الهواء جزئيا، أو يسده كليا، كما يحدث في الأصوات الصامتة (الحمد، المصوتات عند علماء العربية، 1979،ص411)، ونجد في كلام علماء السلف تردد كثيرا عبارة(فيهوي الصوت ،إذا وجد متسعا حتى ينقطع آخره في موضع الهمزة)،أو(ثم تهوي في الفم حتى تنقطع عند مخرج الألف)،أو ما أشبه هذا فتخيل بعض الباحثين المحدثين أنّ هناك علاقة صوتية بين الهمزة من جهة والمدّات الثلاثة من جهة أخرى (ميران، 2005،ص 51) ، قال الخليل(175ه):" المدّات الثلاث منوطات بالهمز، ولذلك قال بعض العرب في الوقوف: أفعلئ وأفعلأ وأفعلؤ فهمزوا الياء والألف والواو حين وقفوا" (الفراهيدي، 1410هـ،ص 7/ 456) ، وقال سيبويه: "وهذه الحروف غير مهموسات وهي حروف لين ومدّ، ومخارجها متسعة لهواء الصوت وليس شيء من الحروف أوسع مخرجا منها ولا أمدّ للصوت ، فإذا وقفت عندها لم تضمها بشفة ولا لسان ، ولا حلق كضمّ غيرها فيهوي الصوت إذ وجد متسعا حتى ينقطع آخره في موضع الهمزة" (بسيبويه، 1988،ص 4/ 176) ، وقال ابن جني:"ومن مضارعة الحرف للحركة أنّ الأحرف الثلاثة: الألف والياء والواو إذا أشبعن ومطلن أدّين إلى حرف آخر غيرهن إلّا أنّه شبيه بهن وهو الهمزة، ألا تراك إذا مطلت الألف أدّتك إلى الهمزة فقلت :أء وكذلك لياء في قولك إئ وكذلك الواو في قولك : أؤ فهذه كالحركة إذا مطلتها أدّتك إلى صورة أخرى غير صورتها وهي الألف والواو والياء" (جني، 1958،ص 4/ 176). وقال ابن جني في موضع آخر: فإن توسع مكان إخراج الحرف لتجنب انقطاع الصوت عن الامتداد والاستطالة، فإن ظلّ الصوت متواصلاً وممتداً حتى ينتهي ،فيقضي حسيرا إلى موقع إخراج الهمزة ، فينقطع لامحالة عندها إذ لم يصادف أي انقطاع أعلاها (ابن جني، 1993،ص 1 /7)، وفي موضع آخر يقول: أمّا بالنسبة للألف فستلاحظ أنّ الحلق والفم معها مفتوحين، دون اعتراض للصوت بضغط أو حصر، وأمّا الياء فنجد معها الأضراس السفلية والعلوية قد احاطت جاني اللسان وضغطت عليه، وتفاج الحنك فوق السطع العلوي للسان، فخرج الصوت مرتفعاً هناك، فبسبب ذلك الفراغ ما امتد، وأما بالنسبة للواو فتضم لها غالبية الشفتين أثناء النطق، وتترك بينهما انفراجاً بسيطاً ، ليخرج منه الهواء، ويستمر الصوت. فلما تغيرت صور الحلق والفم والشفاه مع هذه الحروف الثلاثة تباين الصدى الصادر من منطقة الصدر، وذلك قولك في حرف الألف أأ، وفي حرف الياء إيْ، وفي حرف الواو أُوْ(المصدر نفسه، 1993،ص 21/1)، و" لا شكّ أنّ المقصود بالهمزة هنا (أقصى الحلق)أو ما سمّاه البحث الحديث (بالحنجرة) وهو أول موضع النطق في الجهاز الصوتي عند الإنسان، ومعنى ذلك أنّ الخليل بن أحمد قد ذكر الجزء وهو الهمزة ـ بوصفها أول الأصوات العربية مخرجا ــ وأراد الكلّ وهو(أقصى الحلق)الحنجرة" (ميران، 2005،ص 54) ، ويعلق هنري فليش على ذلك بقوله:" فلماذا يؤدي توقف النطق في هذه الأحرف إلى مخرج الهمزة ؟... هنا يجب أن نتذكر في علم الأصوات من أن هناك نوعين من المصوتات:

(أ):مصوت ذو توتر رخو ،أو تكون الحنجرة عند إصداره منفتحة.

(ب): مصوت ذو توتر شديد أو تكون الحنجرة عند إصداره منغلقة.

ففي الطريقة الأولى(وهي المألوفة في الفرنسية): ونطقنا مصوتا من الأصوات مثل(a أوi أو u) فإنّ الأحبال الصوتية يقترب بعضها من بعض بالقدر اللازم لإحداث الذبذبة، فإذا انتهى النطق تباعد بعضها عن بعض ،وتأتي نهاية المصوت على هيئة تلاش للصوت، وفي الطريقة الثانية (وهي طريقة الألمانية) يحدث مع نطق هذه المصوتات ذاتها أن تنغلق الأحبال الصوتية أولًا، ثم تنفتح بالقدر اللازم لإحداث الذبذبة، فإذا ما انتهى النطق انغلقت، وتأتي نهاية المصوت في صورة احتباس أو قطع ضعيف، أمّا بالنسبة إلى اللغة العربية التي تحتاج دائما إلى الهمزة ، فإنّ بدأها بالمصوت هو من نوع الطريقة الثانية، غير أنّ التوتر الصوتي هنا أشد قوّة ، لدرجة أنّ الانفتاح المفاجئ للأحبال الصوتية يصدر همزة ابتداء ثم تستعيد الأوتار وضعها بأن تغلق الحنجرة ، وهو وضع استعداد للهمزة من حيث كانت نهاية النطق عند مخرج الهمزة" (فليش، 1968،ص 62– 63) ، وسجل الدكتور فراس فخري ميران عدة ملاحظات على هذا الرأي بقوله :" إذا كان نطق المصوتات يصدر من الحنجرة أو بعبارة أدق من الوترين الصوتيين فيها ، فهذا يعني من دون شك أنّ المصوتات عند الدكتور هنري فلش يتم إنتاجها عن طريق الصفة لا عن طريق المخرج ، وهذا أمر فيه نظر" (ميران، 2005،ص 55 – 56)، وأكدّ ذلك الدكتور أحمد مختار بقوله :" لا يعد الوتران مخرجا ، وإلّا لصح نسبة كل الأصوات المجهورة إلى هذا الموضع" (عمر،1997،ص298)، والدكتور غانم قدوري قال :" ... لكن الغالب هو أن تنسب الحروف إلى موضع التضييق لمجرى الهواء (المخرج) لا إلى الأحداث الصوتية الثانوية التي تصاحب نطق الصوت مثل حالة الوترين الصوتيين" (الحمد، 2003،ص 193)' ويضيف الدكتور فراس فخري قائلا في معرض ردّه على الدكتور هنري فليش:" لو تأملنا عبارته القائلة ـ (أمّا بالنسبة إلى اللغة العربية التي تحتاج دائما إلى همزة فإن بدأها بالمصوت هو نوع من الطريقة الثانية ، غير أنّ التوتر الصوتي هنا أشد قوة لدرجة أنّ الانفتاح المفاجئ للأحبال الصوتية يصدر همزة ابتداء، ثمّ تستعيد الأوتار وضعها بأن تغلق الحنجرة) ، لوجدنا أنّ هذا الوصف لا ينطبق على المصوتات في حال النطق بها بل ينطبق على صوت صامت هو (الهمزة) ، ولعل ذلك واضح من قوله الآنف الذكر ،يزاد على ذلك أنّك لو اجريت موازنة بين قوله هذا وبين آلية إنتاج صوت الهمزة العربية فلا تجد فرقا كبيرا" (ميران، 2005،ص 56). ولو تأملنا قول الدكتور كمال بشر: تُسد الفتحة الموجودة بين الوترين الصوتيين حال النطق بهمزة القطع وذلك بانطباق الوترين انطباقا تاما، فلا يسمح بالمرور من الحنجرة ثم ينفتح الوتران فيتدفق الهواء بشكل مفاجئ مصدراً صوتا منفجراً (بشر،1998،ص57)، وهذا يؤكد ما ذهب إليه الدكتور فراس فخري ، والباحث يذهب مع رأي الدكتور فراس فخري في ردّه على الدكتور هنري فلش الذي يبدو أنّه وقع في خلط بتفسيره هذا ، وذهب الدكتور غالب المطلبي إلى وجود علاقة صوتية بين الهمزة وأصوات المدّ بقوله: "ولعل ما سوغ للخليل أيضا عدّها مجموعة تصريفية واحدة، ما نلاحظه من علائق صوتية بين الهمزة من جهة وأصوات المدّ الطويلة ،إذ أنّ مدّ الصوت بهذه الأصوات الأخيرة قد يؤدي إلى الهمزة" (المطلبي،1984، ص 72)، وذهب ابن جني إلى تشابه صورتي الهمزة والألف ولكن الفرق بينهما أنّ الأولى متحركة والثانية ساكنة فقال: " فحرف الألف التي في الكلمات: قام، وسار، والكتاب، والحمار، فشكلها شكل الهمزة المتحققة التي في الكلمات أحمد، وإبراهيم، وأترجّة، لكن هذه الألف تكون دائماً ساكنة، فشكلها وشكل الهمزة المتحركة واحداً رغم اختلاف مخرجيهما (ابن جني، 1993،ص 42 ـ 43)، ووضّح الدكتور كمال بشر ذلك بقوله: كانت تطلق تسمية الألف على حرف الألف في حقبة زمنية متأخرة باسم(الهمزة) أي الصوت الذي نسميه الآن الوقفة الحنجرية والشكل الأساسي لهذا الصوت هو حرف (ا)من غير رأس حرف العين الصغير(عـ) في أعلاه أو أسفله، و

هذا معناه هذا أنّ حرف الألف ــ تسمية، فحرف الهمزة من أصوات اللغة العربية منذ التاريخ المسجل لنا، ولم يطلق على هذا الصوت (الهمزة في المراحل المبكرة ، وإنّما كان يعرف باسم ألف ورمزه(ا) (بشر، 1998،ص 48 ـ49)، ويعلق الدكتور هنري فليش قائلا: "أمّا هذه الأحرف الثلاثة ، وهي متحركة فتختلف عن ذلك ، فقد سبق أن قلنا : إنّ مخرج الألف يتغير تماما ، ليصبح مخرج حرف آخر هو الهمزة ، فهناك إذن حرفان لكلّ منهما مخرجه : أحدهما في حالة السكون وهو الألف ، والآخر لحالة الحركة وهو الهمزة. أمّا فيما يخصّ مخرج حرفي الياء والواو فيبقى دون تغيير سواء كانا ساكنين أو متحركين ، وإنّما الذي يتبدل هو طريقة نطقهما، فالياء المتحركة كانت، و الواو المتحركة ، تصبح أكثر قوة ، فتكون مثل الحروف الصحيحة وسبب تصورها بصورة هذا الحرف الوحيد ، لاشتمال الحرف على الامكانيتين : الحرف المصوت (الكسرة والضمة والفتحة)، و الحرف الصامت(الياء، والواو) (فليش، 1968،ص 64) ، ثمّ يوضح الدور الأساسي الذي يقوم به المقطع في إنتاج الحروف وانقطاع المصوتات قائلا:" فاستمرار إصدار الصوت مع النفس مفهوم هنا بدلالة هذا المقطع، وكلّ مقطع في هذا الصوت المتدفق ينتج حرفا صحيحا ، أمّا عدم المقطع فإنّه يدع انسياب الصوت مستمرا دون توقف ، وذلك حيز حروف الاعتلال، وحروف المدّ(الالف والواو والياء) ، وهي الحروف الساكنة" (المصدر نفسه،ص64)، ويخلص الدكتور فراس فخري "إلى نتيجة مؤداها أنّ العلة في انقطاع المصوتات عند مخرج الهمزة ترجع إلى طبيعة المقطع العربي ، وبيان ذلك أنّ اللسان العربي يعسر عليه الوقوف على مقطع مفتوح ، فيلجأ إلى الهمز وسيلة لإقفال المقطع المفتوح ليس إلّا " (ميران، 2005،ص 58)، ودليل ذلك قول الدكتور إبراهيم أنيس : " ويظهر أنّ الوقوف على أصوات اللين المتطرفة ، كان عسيرا على اللسان العربي ، قليل الشيوع في معظم اللهجات العربية... فإذا أضيف إلى هذا ما نعرفه من وقوف معظم القبائل على آخره صوت لين بهاء سكت ،أدركنا بسهولة كيف تنفر معظم اللهجات العربية من الوقوف على أصوات اللين طويلها وقصيرها" (أنيس، 1992، ص144ــ 145)، ونجد ابن رشد يذكر أن الكلمة العربية لا تجري مستمرة بدون توقف بل لابدّ من توقفات لقفل المقاطع الصوتية ومنها انقطاع المصوتات عند مخرج الهمزة فقد توسع ابن رشد في معالجة المقطع مستهلا حديثه بأنّ الداعي إلى التقسيم المقطعي مرده إلى كون المتكلم لا يستطيع الأداء المستمر فيتحيل على ذلك بأنّ يتوقف (ابن رشد، 1967،ص 284ـ 286) ، ويضيف الدكتور عبد الصبور شاهين:" سواء أكان إقفال المقطع بهمزة أم بهاء فإنّ الحاصل هو أنّ المقطع قد أقفل بصوت لا وظيفة له سوى الإقفال؛ ولذلك دلالة أخرى أيضا: فإنّ الهمزة والهاء كلاهما صوت حنجري ، ولا يشركهما في مخرج الحنجرة صوت آخر، الأمر الذي يدفعنا إلى القول بأنّ المتكلم لم يكن مختارا في اختيار القفل المقطعي، بل أنّ نهاية الكلام قد فرضت عليه الوقف صوتا بعينه، ليكون أمارة على أنّ الحنجرة قد لفظت آخر أصواتها في نهاية العملية الكلامية في صورة (حبسة) هي الهمزة ،أو في صورة (انطلاقية) أو (صوت ناقص) هو الهاء ...والأمر ما أطلق القدماء على الهاء في الوقف في بعض المواضع (هاء السكت) ولو جارينا طريقتهم في التسمية لكان من الأولى أن نطلق هذا اللقب على الهمزة، بأن نسميها أيضا حين تأتي في نهاية الكلمة لإقفال المقطع (همزة السكت)وذلك في مثل : حمراء وصحراء ،وجميع ما اختتم بما يعرف بألف التأنيث الممدودة، وما جاء من مثل رجلأ وهو يضربهأ ، وقولئ... مما يسمى من قبل بهمزة الوقفة" (شاهين، 2009،ص86)، إذن نخلص إلى أنّ السبب الحقيقي يرجع إلى طبيعة المقطع الصوتي العربي الذي ينفر من الوقوف على أصوات المدّ الطويلة الأمر الذي كان سببًا في إيجاد قفل مقطعي هو صوت

الهمزة أو كما سمّي من قبل بهمزة الوقف وكذلك ميل القبائل البدوية إلى المقاطع المغلقة في حالة الوقف(ميران، 2005، ص60).

الخـــــاتمـــــة ونتائج البحث

خلص البحث إلى جملة من النتائج ، يمكن توضيحها بالآتي:

1ــ أثبتت الدراسة معرفة العرب للمقطع الصوتي بمفهومه العام الذي هو ثمرة من ثمرات الدرس العروضي القديم ؛ الذي هو حاكم الساكن والمتحرك على عكس ما ذهب إليه هنري فليش بعدم معرفة العرب للمقطع الصوتي.

2ــ أيضا مما يبين عدم صحة ما ذهب إليه فليش وجود تعاريف للمقطع الصوتي عند العرب القدماء من الفلاسفة والمتكلمين وعلماء اللغة وغيرهم.

3ــ فنّد البحث العلة التي ذهب إليها هنري فليش في مسألة انقطاع المصوتات عند مخرج الهمزة في ووصفه للمصوتات والذي تبين أنّه ينطبق على حرف واحد هو الهمزة.

4ــ بيّن البحث أنّ العلة الحقيقية في مسألة انقطاع المصوتات ترجع إلى طبيعة المقطع العربي يبتعد عن الوقوف على المقطع الذي ينتهي بأصوات المدّ الطويلة فاحتاجوا إلى قفل هذا المقطع فكان صوت الهمزة هو ذلك القفل للمقطع الصوتي أو انقطاع المصوت عند الهمزة.

المصادر والمراجع

1.إبراهيم أنيس: الأصوات اللغوية،القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية، ط5 ،1975م.
2.إبراهيم أنيس: في اللهجات العربية ، القاهرة: مكتبة الأنجلو،ط1 ،1992م.
3.ابن رشد: تفسير ما وراء الطبيعة، تحقيق: موريس بويج، بيروت:المطبعة الكاثوليكية، ط1، 1938م.
4.ابن رشد: تلخيص الخطابة تحقيق: عبد الرحمن بدوي، الكويت، بيروت: وكالة المطبوعات ، دار القلم، ط1 ، 1967م.
5.أبو الفتح عثمان بن جني: الخصائص تحقيق:علي النجار، بيروت: دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، 1958م.
6.أبو حامد بن محمد الغزالي: شفاء الغليل في بيان الشبه والمخيل ومسالك التعليل. أطروحة دكتوراه. بغداد: مطبعة الإرشاد، 1972م.
7.أبو عثمان عمر بن بحر الجاحظ: البيان والتبيين تحقيق: علي بو ملحم، بيروت: دار ومكتبة الهلال، ط1، 1423ه.
8.أبو الفتح عثمان ابن جني: سر صناعة الإعراب تحقيق: حسن هنداوي، دمشق: دار القلم،ط1، 1993م.
9.أحمد مختار عمر: دراسة الصوت اللغوي ، القاهرة: عالم الكتب، ط1، 1997م.
10.الخليل بن أحمد الفراهيدي: كتاب العين، تحقيق: إبراهيم السامرائي، و مهدي المخزومي ،بغداد: دار ومكتبة الهلال، ط1، 1410ه.
11.المهدي بو روبه: الدراسة المقطعية في التراث من إشارات النحاة واللغويين إلى تنظير الفلاسفة المسلمين، مجلة المجمع الجزائري للغة العربية، 2005م.
12.تمّام حسّان: مناهج البحث في اللغة، القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية، ط1، 1990م.
13.تمّام حسّان: اللغة العربية معناها ومبناها ، الرباط: دار الثقافة، ط1، 1994م.

14. جان كانتنيو: دروس في علم أصوات العربية، ترجمة: صالح القرمادي، تونس: مركز الدراسات الاقتصادية والاجتماعية، ط1، 1966م.
15. حسام النعيمي: (1980). أبحاث في أصوات العربية بين التحول والثبات، بغداد: بيت الحكمة، ط1، 1980م.
16. رمضان عبدالتواب: المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي ، القاهرة: مكتبة الخانجي، ط3، 1997م.
17. عبد السلام المسدي: التفكير اللساني في الحضارة العربية ،القاهرة: الدار العربية للنشر،ط1، 1986م.
18. عبد الصبور شاهين: القراءات القرآنية في ضوء علم اللغة الحديث ، القاهرة: مكتبة الخانجي، ط1، 2009م.
19. عمرو بن عثمان بن قنبر الملقب بسيبويه: الكتاب تحقيق: عبد السلام محمد هارون، القاهرة: مكتبة الخانجي، ط3، 1988م.
20. غالب فاضل المطلبي: في الأصوات اللغوية دراسة في أصوات المدّ العربية، بغداد: دائرة الشؤون الثقافية،ط1، 1984م.
21. غانم قدوري الحمد: المصوتات عند علماء العربية. مجلة كلية الشريعة، 1979م.
22. غانم قدوري الحمد: الدراسات الصوتية عند علماء التجويد ، عمّان: دار عمار للنشر والتوزيع، ط2، 2003م.
23. فراس فخري ميران: انقطاع المصوتات عند مخرج الهمزة. مجلة كلية التربية الجامعة المستنصرية، 2005م.
24. كمال بشر: دراسات في علم اللغة ، القاهرة: دار غريب للطباعة والنشر، ط1، 1998م.
25. محمد بن الحسن الاستراباذي: شرح الشافية للرضي، تحقيق:محمد نور الحسن وآخرون،بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 1975م.
26. محمود السعران: علم اللغة مقدمة للقارئ العربي ، القاهرة: دار الفكر العربي، ط2، 1997م.
27. نصر بن محمد الفارابي: كتاب الموسيقى الكبير،تحقيق: غطاس عبد الملك خشبة، القاهرة: دار الكتب والوثائق القومية، ط1، 2016م.
28. هنري فليش: التفكير الصوتي عند العرب في ضوء سر صناعة الإعراب لابن جني، ترجمة:عبد الصبور شاهين، مجلة مجمع اللغة العربية، الجزء23، 1968م.
29. هنري فليش: العربية الفصحى دراسة في البناء اللغوي، تحقيق: عبد الصبور شاهين، القاهرة: مكتبة الشباب، ط2، 1997م.

Phonological thinking among Arabs in light of (sr sanaet al'iierab) liabn jnny By Dr. Henry Fleisch (critical study)

Abstract:

This research is considered one of the valuable researches of Dr. Henry Fleisch, which was translated by Dr. Abdel Sabour Shaheen and published in the Journal of the Arabic Language Academy in Cairo in 1968 AD.

This research presented the most important Arabic works of the ancients on the science of phonetics, which was included in their writings, starting with Sibawayh, all the way to Ibn Jana in the secret of making inflections. The research touched on the contradiction of the modern phonetic lesson in the process of describing the exits of sounds and the production of letters, the opinions of the ancients and the moderns, and the opinions of the ancients and those of Sibawayh. In the two functions of loudness and whispering, movement according to the ancients and moderns, the idea of movement according to Ibn Jinni, movement between the Western and Arab perception in terms of length and type, saturation of movements, production of linguistic sound, movement and its arrangement, vowels and syllables, discontinuity of vowels, and other topics within the folds of this research. In our critical reading, we will focus on researching two demands: the first: the phonetic syllable, and the response to what Henry Fleisch said and his denial of the Arabs' knowledge of the phonetic syllable. The linguistic material in Arab books recorded for us Arab scholars' definitions of the phonetic syllable. The phonetic syllable, in its general sense, is one of the fruits of the ancient prosody lesson, the opposite of what Henry Flesch went to him.

As for the second request, the interruption of the vowel sounds, it was in response to Flesch's opinion, which said that these three letters, which are mobile, differ from that, as the output of the alif changes completely, so that the output of another letter becomes the hamza, one of them in the state of silence is the alif, and the other in the state of movement is the hamza. As for the yā' and waw, their exits remain the same, whether they are silent or vowelized, and it is proven that the real reason is due to the nature of the Arabic phonetic syllable, which is averse to stopping at long vowel sounds, which was the reason for creating a syllabic lock, which is the sound of the hamza, or as it was called before, the hamza of stopping and The tendency of Bedouin tribes to have closed syllables in the case of waqf.

Keywords: phonological thinking, siru sinaeat al'iierab, Henry Flesch, vowel discontinuity, syllable, vowels, vowels.